الفصل الاول

المدرسة الحديثة و ثقافة العائلة

الفصل الأول : المدرسة الحديثة وثقافة العائلة

- تمهيد
- المدرسة الحديثة
- المراحل التي مرت بها المدرسة الحديثة
- الوظائف المعلنة والخفية للمدرسة
- المدرسة والنجاح المدرسي
- مفهوم الرأسمال الثقافي
- الرأسمالية الثقافية للآسرة ومتابعة الأبناء دراسيا

تمهيد:

كانت المدرسة قديما معزولة عن الوسط الذي تعيش فيه لا تربطها بالبيئات التي حولها أي رابط مادي أو اجتماعي و تقتصر مهمتها ضمن حدود الكتاب المدرسي ، ولا تعني بما يجري في البيئة من أوجه نشاط ولا يهمها دراسة أسباب تصرفات تلاميذها و سلوكهم و ظروفهم وما يواجهون من مشكلات يومية وكان الآباء ينظرون إلى المدرسة وكأنها دائرة إدارية لا يجوز التدخل في شؤونها .

وبمعنى آخر فإن التعاون بين الأسرة و المدرسة كان شبه معدوم، وبتطور الحياة و العلوم و أنظمة التعليم أصبح من الأهمية أن يتم هذا التكامل بين الأسرة و المدرسة باعتبارها أهم مؤسستين تربويتين في المجتمع .

لقد نظر إلى المدرسة على أنها مؤسسة تربوية تساهم مساهمة كبيرة في تنشئة الأطفال و تكمل التربية التي بدأت فيها الأسرة ،وتغرس في النشء المبادئ السامية وحب العمل و المثابرة و الأخلاق الطيبة ، وتزوده بقيم اجتماعية و ثقافية و معارف و مهارات تمكنه من الولوج إلى الحياة الاجتماعية و تحقق له الاندماج الاجتماعي .

لكن هذه النظرة هي نظرة سطحية لم يتم من خلالها إدراك وفهم العمق المدرسي ، وهذا ما تنبه له العديد من علماء الاجتماع ، لذلك وحتى نفهم أن المدرسة الحديثة ساهمت إلى حد بعيد في الفشل الدراسي لعدد كبير

من التلاميذ ، يجب أولا التعرف على هذه المدرسة وعلى وظائفها المعلنة و وظائفها الخفية ، وعلى أهم العوامل المدرسية المؤدية إلى الفشل الدراسي .

1.المدرسة الحديثة :

إن محاولة تحديد مفهوم دقيق للمدرسة ليس بالأمر اليسير ،لأنه لا يوجد اتفاق بين الباحثين حول تعريفها لكن من الممكن استعراض بعض التوضيحات لهذا المفهوم يليها المفهوم الإجرائي .

-المدرسة هي المؤسسة المتخصصة في التربية [1]

المدرسة شبكة من المراكز و الأدوار، التي تقوم بين المعلمين والتلاميذ، حيث يتم اكتساب المعايير التي تحددها لهم أدوارهم في الحياة الاجتماعية . و تنبع هذه الأدوار من البنية الشكلية للمدرسة و من ثقافتها الفرعية المناسبة [2]

يرى **علي اسعد وطفه** أن المدرسة تشكل ...نظام معقدا و مكثفا و رمزيا من السلوك الإنساني المنظم الذي يؤدي بعض الوظائف الأساسية في داخل البنية الاجتماعية [3]

- أما **إبراهيم ناصر** فيري أن المدرسة...هي المؤسسة التي تنفض الأهداف التي يريدها و يرسمها المجتمع وافقاً لخطط و مناهج محددة ، و عمليات تفاعل و أنشطة مبرمجة داخل الفصل الدراسي و خارجها على جميع المستويات الدراسية و الفنية و الثقافية و الاجتماعية و الرياضية و غيرها[4]

---

1 -خالد احمد شلتوت ، ماذا تريد المدرسة من البيت ، دار الخلدونية ،الجزائر ،2007 ، الطبعة الثانية ،ص 15 .

2 - على اسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب ، علم الاجتماع المدرسي - بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية ، مجد المؤسس الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ، بيروت - لبنان ، 2004 ، الأولى ، ص 18 .

3- نفس المرجع السابق ص20 .

4- ابراهيم ناصر ،علم الاجتماع التربوي ،دارجيل ،بيروت،لبنان 1996 ، الطبعة الثانية ص71

-من خلال التوضيحات السابقة يمكن ملاحظة التباين الموجود بينها ، فلكل نظرته حول المدرسة و وظيفتها داخل المجتمع ، لكن المفهوم الإجرائي للمدرسة في هذه الدراسة سيكون كالتالي :

-المدرسة هي مؤسسة تربوية حكومية لها نظام خاص، تسعى عبر وسائل خاصة لبلوغ أهداف ما هي هذه الأهداف .

2.المراحل التي مرت بها المدرسة الحديثة :

اعتمد الإنسان البدائي في بداية الأمر على التقليد و المحاكاة، وهذه هي الطريقة التي كان يتعلم بواسطتها الصغار، فلم يكون التعليم في ذلك الوقت منظما ولم يكن هناك تخطيط مسبق لها، إلا أن التطور المستمر و تعقد الحياة فرض على الإنسان إيجاد

و سائل تساعد الأسرة أو تحل محلها في تعليم أبنائها، وهنا بدأت تظهر بعض المستويات البسيطة سميت بالتربية المقصودة المنظمة[1]

وعندما اكتسبت المجتمعات رصيدا كبيرا من الثقافة ،بات من الضروري إيجاد نظام محدد من خلاله يتم إعداد الأطفال و تنشئتهم حسب ثقافة و ديانة كل مجتمع وخصوصيته الاجتماعية ، ومن هنا بدأت المدارس في

1- نفس المرجع السابق ، ص 73

الظهور . والتي اهتمت في بداية الأمر بأمور الدين و المعتقدات البيئية الأولية ،بعد ذلك أصبحت المدارس تهتم بأمور الدين و الدنيا على حد سواء[1]

لقد مرّت المدرسة بثلاثة مراحل حتى أصبحت على ما هـي عليه اليوم و سيتم عرض هذه المراحل باختصار:

1.2.الأسرة كمدرسة أولى:

لا تقتصر وظيفة الأبوين على الإنجاب فقط ولكن تمتد إلى الرعاية و التنشئة ، ففي المجتمعات البدائية كان الأبوان يقومان بتعليم الأبناء بـدون تخطيط وبـدون أن يدركا إنهما يفعلان ذاك ، ويتـم ذلك بالتقليد ومحاكـاة ، فالولد يرافق أبـاه إلى الرعي او الصيد ، والبنت تمكث بالمنزل لمساعدة أمها ، لذلك فالأسرة هي الأساس في تربية الأبناء و تنشئتهم[2]

2.2.القبيلة كمدرسة :

تغيّرت ظروف الحياة و انتقل الإنسان من مرحلة الصيد إلى الرعي، ثم إلى مرحلة الزراعة ، وبدأ يستقر في شكل مجموعات تسمى العشيرة أو القبيلة ،وتختار هذه الأخيرة بقعة جغرافية لتعيش و تستقر فيها.

في هذه المرحلة شعرت الأسرة بأنها تفتقر إلى الخبرة التي تمكنها من تفسير الظواهر الطبيعية للناشئة ،وقد عرفت هذه القبائل فئة من الناس كانت تسمى بـ" العرافون " ،لجأت إليهم هذه القبائل لتعليم أبنائها كل ما يتعلق

1- نفس المرجع ، ص 73
2- نفس المرجع ، ص 74

بالمعتقدات و الطقوس الدينية و الظاهر الطبيعية و القوى الغيبية و أثرها في حياة ألإنسان وسيطرت الخرفات و الأساطير في هذه المرحلة [1]

3.2.المدرسة في شكلها الحديث :

إن تعقّد متطلبات المجتمع و الحاجة إلى التخصصات المهنية التي فرضها النمط الجديد للحياة ، ساهم في إنشاء المدارس التي أخذ التدريس فيها شكلاً منظّما ، وقام على إدارة شؤونها فئة ذات خبرة ومعرفة قرر المجتمع أن يسند إليها هذا الدور لأنها تحمل فلسفته و قيمته ، و تمثلت هذه الفئة في بداية الأمر في رجال الدين أو الشيوخ الذين امتلكوا المعرفة و الحكمة ، ومع الوقت صار هناك إعداد خاص لمن سيتولى مهم التعليم ، وظهرت التسمية الجديدة المتمثلة في المعلم[2]

وهنا تجدر الإشارة إلى أن المدرسة الحديثة جهاز أو مؤسسة تابعة للدولة ، و تعكس فلسفتها ، فهناك أهداف تسعى كل دولة إلى تحقيقها من خلال تنشئة الأجيال بطريقة معينة (... لذلك تحكمت كثير من الدول في انتقاء من يمثل سياستها من المدرسين ، و أبعدت من يختلف من الدولة في نهجها السياسي عن مؤسسات التعليم حتى لا يفسد مخططات الدولة في إعداد الجيل الذي تريده من حيث العقيدة و الثقافة السلوك [3]

[1]– نفس المرجع السابق ،74–75.

2– نفس المرجع، ص 75.

3- خالد احمد شلوت،مرجع سبق ذكره ص 15

لذلك فالمدرسة الحديثة لا يقتصر دورها في نقل التراث الثقافي فقط ، ولكن لها وظائف أخرى سنتعرف عليها لاحقا .

3. الوظائف المعلنة و الوظائف الخفية للمدرسة:

تتميز المدرسة من حيث أنها مؤسسة بوظائف معلنة تهدف إلى إعداد الأفراد إلى حياة عملية ومهن لولوج عالم الشغل والإدماج في المجتمع وتهيئتهم لأداء ادوار كفاعلين اجتماعيين .

1.3 الوظيفة المعلنة

1.13.الوظيفة الاجتماعية :

تقوم المدرسة بوظيفة التنشئة الاجتماعية للأطفال بعد الأسرة ، لتحققّ لهم اكتساب العضوية داخل الجماعة ، ولتمكنهم من الاندماج في الحياة الاجتماعية و ممارسة مختلف النشاطات التي يقتضيها انتماؤهم الى المجتمع[1]

2.1.3الوظيفة الاقتصادية :

إن العامل الأساسي لإنشاء المدرسة هو العامل الاقتصادي ، خاصة مع ظهور الثورة الصناعية التي استلزمت إعداد أيدي عاملة ذات كفاءة ، قادرة على توظيف التكنولوجيا الحديثة المتطورة في العمل ، وهذه الوظيفة أي الوظيفة الاقتصادية لا تزال قائمة إلى يومنا هذا من أجل تحقيق النمو الاقتصادي.

[1]- علي أسعد وطفة و علي جابر الشهاب ، مرج سبق ذكره ص38

3.3.3الوظيفة الثقافية :

هي من أهم الوظائف التي تقوم بها المدرسة ، و قد لعبت المدرسة دورا يتميز بالأهمية في تعزيز لغة التواصل القومي بين أفراد المجتمع و تحقيق الوحدة الثقافية عبر تحقيق التجنس في الأفكار و المعتقدات ، و التقاليد و التصورات السائدة في المجتمع الواحد.

2.3. الوظيفة الخفية للمدرسة :

إن المدرسة الحديثة كيفت مناهجها ووسائلها التعليمية لإنتاج القيم الرأسمالية ، فالنظام الرأسمالي يسعى من خلال المدرسة إلى تحقيق هدفين أساسيين :

- يتمثل الأول في إنتاج أناس مؤهلين جيدا لأداء أدوار رأسمالية تسويقية للنهوض بقدرات النظام الرأسمالي ،
- يتمثل الثاني في إنتاج طبقة عمالية بروليتارية قادرة على الوفاء بمتطلبات هذا النظام و تلبية احتياجاته [1]

إن الأهداف الجديدة للمدرسة أفقدتها المضامين الإنسانية ، و هذا مما أدى إلى اهتمام العديد من العلماء بهذا الموضوع أمثال إيفان إليتش و هو من أكثر المنظرين التربويين الذين شنوا حملات نقدية على التنمية الاقتصادية الحديثة ، و يؤكد إليتش أن هناك ارتباط بين تطور التربية و المتطلبات الاقتصادية فالمدرسة الحديثة ، و يؤكد تلقن النشء الاستهلاك السلبي ، أي القبول بالقيم المهيمنة و الخضوع للنظام الاجتماعي القائم ، و تتم هذه

[1]- علي وطفة ، رأسمالية المدرسة في عالم متغير-الوظيفة الاستلابية للعنف الرمزي و المناهج الخفية ، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا 2011 بدون طبعة نشر ص **14**

العملية بشكل ضمني عبر المناهج الخفي الذي يعلم الأطفال أدوارهم التي تفرض عليهم مكانتهم ، التي يجب أن يلزموها ، طائعين ، فالمدرسة اليوم لا تشجع على المساواة[1] .

وقد قام عالمي الاجتماع الفرنسيين بيار بورديو و جون كلود باسرون بدراسات ميدانية حول ظاهرة الثقافة في الجانب التربوي ، فإعادة الإنتاج الثقافي تتحقق عبر المناهج الخفية التي تسعى عبر وسائل ، لإدامة اللامساواة الاجتماعية و الاقتصادية من جيل إلى آخر [2].

" إن الإصلاحات التربوية تشكل –في حقيقة الأمر–قصفا تمهيديا لعولمة رأسمالية تسعى إلى تفكيك المدرسة و ابتلاعها إشباعا لجشع الوحش الرأسمالي إلى القوة و الثروة و السلطة " [3]

إن الخطورة تكمن في المنهاج الخفي الذي يعد " فعالية تربوية صامتة خفية غير منظورة و على الباحث أن يرصده فيما بين السطور و ما خلفها و في الزوايا المظلمة للحياة التربوية ...فالمدرسة وفقا لهذا التصوير تؤدي وظائف غير منظورة وتعلم أشياء أخرى غير معلنة في برامجها و مناهجها النظرية و الرسمية"[4].

و يؤكد العديد من الباحثين على أن للمدرسة نظامين ، نظام معلن ونظام خفي و مستتر ، فالنظام المعلن يؤدي الوظائف التي سبق ذكرها وهي الوظائف الاجتماعية و الاقتصادية و الثقافية ، و التي تم تناولها باختصار ، لأن العامل المهم الذي من الممكن أن يؤدي إلى الفشل الدراسي هو الوظيفة الخفية للنظام المستتر

[1]- انتوني غدنر ، علم الاجتماع ، ترجمة: فايز الصياغ ، المنظمة العربية للترجمة ، مؤسسة ترجمان،لبنان ، بدون سنة نشر ن الطبعة الرابعة ، ص559-560

[2]- نفس المرجع ، ص 561-562

[3]- علي وطفة ، رأسمالية المدرسة في عالم متغير-مرجع سبق ذكره ص 17

[4]- نفس المرجع ، ص 109

، الذي يوجه رسائل صامتة عبر بيداغوجيا العنف الرمزي ، التي يسعى من خلالها إلى إخضاع التلاميذ لمعايير النظام القائم الذي يتضمن وجودا من التمايز و الطبقية [1].

لقد أثرت العولمة في حقل التربية و التعليم تأثيرا بالغا ، فقد كيفت المدرسة لتحقيق أغراضها " فالتربية قد أصبحت معُولَمة معُولِمة في نفس الوقت أي أنها بقدر ما خضعت لعملية عولمة فإنها تحولت إلى أداة من أدوات العولمة ذاتها". [2] فالعولمة سلبت المدرسة قيمها الإنسانية ، لأنها تتطور وفقا لمعايير السوق و هي بهذا تفقد الطابع المعرفي الإنساني و تحولت إلى مؤسسة منتجة لقيم الرأسمالية ، تعمل على حرمان أبناء العمال و المهمشين من التعليم الحقيقي ، لأنها تسعى إلى تحويلهم إلى قوى عاملة تخدم المجتمع الرأسمالي [3]

لذلك فالوظيفة المخفية للمدرسة هي ما ينذر بالخطر ، لكن ما يدعو للخطر أكثر هو تأكيد أهل الاختصاص يفتخرون بأن الإصلاحات التربوية جاءت لمواكبة العولمة الاقتصادية غير مدركين عواقب ذلك أو مدركين خطورة ذلك و خاضعين لهذه الحتمية وهذا أدهى و أمر ، حينما يتخلى أهل الاختصاص عن دورهم التوعوي ، فكيف بالفرد العادي الذي لا يملك سوى قبول الرسائل التدميرية خاضعا بل و مستسلما لما تقدمه المدرسة.

[1]- نفس المرجع ، ص112
[2]- نفس المرجع ، ص180
[3]- نفس المرجع السابق ص 28

يقول نيتشه : " التربية آلة للتلاعب و التناوب تعمل على تشويه وعي الإنسان و إلغاء ذاته و إخضاعه للسلطة المطلقة للدولة ".[1]

4. المدرسة و النجاح الدراسي:

لا تقل مسؤولية المدرسة عن باقي عوامل الفشل الدراسي ، لكن تسعى هذه الدراسة إلى الوقوف على بعض العوامل المدرسية التي تؤدي إلى النجاح أو الفشل الدراسي ، و التي يمكن اعتبارها من أهم العوامل .

1.4. المنهاج التربوي :

يمثل المنهاج التربوي الخبرات التربوية و الثقافية و الاجتماعية ... الخ التي يهيئها النظام التربوي و يقدمها للتلاميذ عبر المدرسة وفقا لإيديولوجية معينة لذلك "...فالمنهاج التربوي الفعال يؤدي ولا شك إلى تمكين التلاميذ من الفهم و الاستيعاب الجيد و بالتالي الحصول على النتائج " [2] ، فالمدرسة تكون سببا للفشل الدراسي "عندما تكون منهاجا لا يتلائم مع عقليات الطلبة و معطيات واقعهم الاجتماعي ومستوياتهم العلمية "[3] و عليه فإن المنهاج الخفي الذي صمم على دفع الشريحة الاجتماعية التي تمثل أغلبية المجتمع إلى الإخفاق و اتخاذ مواقع في الاستغلال الاجتماعي [4].

---

[1]- نفس المرجع السابق ص 513

2- محمد برو : أثر التوجيه المدرسي على التحصيل الدراسي في المرحلة الثانوية –دراسة نظرية ميدانية للطلبة الجامعيين و المشتغلين بالتربية و التعليم ، دار الأمل لطباعة و التوزيع الجزائر بدون سنة نشر ص 229

3 – الحسن محمد إحسان، علم الاجتماع التربوي، دار وائل للنشر، الأردن، 2005، الطبعة الأولى، ص164

4- علي وطفة ، رأسمالية المدرسة في عالم متغير،مرجع سبق ذكره،ص135

2.4. المستوى العلمي للأستاذ :

ومن العوامل المدرسية المؤدية إلى النجاح كفاءة الأستاذ العلمية وأخلاقه، وهذا الأخير الذي ينعكس على تعامله مع التلاميذ، وحرصه على نجاحهم و التأثير على أفكارهم بشكل إيجابي يخدم التعلم و يرتقي بمستواهم العلمي وحسن سيرتهم." إن الأستاذ هو نقطة الانطلاق و خاتمة المطاف أنه العنصر الأساسي في تنفيذ السياسة التعليمية " [1]، وهنا تجدر الإشارة أن للأستاذ دور مهم في تعديل البرنامج و إعداد أهداف خاصة تتناسب مع ما يحمله من قيم ، إن " ....التغييرات البناءة الأكثر و الأسهل على مستوى تحقيقها هي تلك التي تصدر عن المدرسين أنفسهم ، عوض تلك التي تفرضها عليهم مجالس المؤسسة أو القرارات الوزارية" [2] ولا يقتصر الأمر على المعاملة أو طريقة التدريس فقط ، ولكن أساليب التقييم أيضاً "بقدر ما يكون مستوى الأستاذ وكفاءته يكون مستوى التعليم" [3] ، والمستوى العلمي و الأخلاقي العالي يظهر في أسلوب التدريس و المعاملة ، النمذجة ، التقييم ، الثقة و الاحترام المتبادل بين الأساتذة و تلميذه ، لكن إن كان المستوى العلمي للأستاذ متدنيا وإن كان يفتقر إلى الأخلاق المهنية و العلمية حتما سيؤدي ذلك إلى إخفاق التلميذ في إحراز النجاح .

1- محمد برو ،مرجع سبق ذكره ص288

2- مارتان كوفينتون و كلير إلين ، محاربة الفشل الدراسي و استراتيجيات ضمان التعلم الدائم ، ترجمة وتقديم عبد الكريم غريب ، منشورات عالم التربية مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء (المغرب)،2007،الطبعة الأولى،ص13

3- محمد برو ،مرجع سبق ذكره،ص228

3.4. المكافآت المدرسية:

إن المكافآت المدرسية الأكثر استخداما هي العلامات ، وهذه الأخيرة لها تأثير على إحساس التلميذ إتجاه قيمته الشخصية ، فعند كشف النقاط ، إما أن يشعر بأن لديه قيمة بين زملائه و ذلك لحصوله على نقاط جيدة ، و إما يحدث العكس إذا تحصل على نقاط ضعيفة [1] و هذا الإحساس خلقته المدرسة لدى التلاميذ ، لأنها وضعت التلاميذ داخل لعبة تنافسية و جعلت التنقيط جزاءا من اللعب التنافسي ، وربطت النقاط المرتفعة بفعل الاستحقاق ولا يمكن أن يتحصل التلاميذ على نقاط جيدة إلا إذا كان لديهم قدرة على إنجاز ما يطلب منهم .

لذلك و حسب هذه الرؤية، لا يراعى في هذه اللعبة التلاميذ الذين لا يستطيعون الإنجاز حتى و إن بذلوا قصارى جهدهم ، لذلك فإحساس التلميذ بأنه فاشل يجعله يشعر بأنه غير نافع و هذا كفيل بأن يمنعه من المحاولة ، هذا إلى جانب أن اللعبة التنافسية تلهي التلاميذ عن الهدف الأساسي و هو تحقيق التعلم فهم يمضون وقتهم في محاولة إفشال التلاميذ الآخرين ، ويعتمدون في ذلك على إستراتيجيات تقتضي عرقلة مجهودات باقي التلاميذ ، كأن يلجأ التلميذ إلى نزع الصفحات من الكتاب المدرسي حتى لا يستفيد زملاؤه [2] أو أن يرفض مساعدة زملائه في فهم موضوع ما ، أو أن يتغيب زميل له عن إحدى الحصص فيرفض

1- مارتان كوفينتون ، مرجع سبق ذكره،ص20

2- نفس المرجع السابق،ص20_21

إعطائه الدرس الذي تخلف عنه ، وكل هذه الممارسات و غيرها سببها المنافسة على النقاط ، فالتلاميذ في هذه الحالة لا يحقق التعلم ، لأنه يلتهي بمراقبة نقاط زملائه مهما كان الثمن [1].

" لا تعكس النقاط دائما أهدافا بيداغوجية صالحة ،كدرجة التحسن أو المستوى الدراسي النهائي (اللذان) تم التوصل إليهما ، و إنما تصلح بالأحرى لملاحظة ما إذا كان التلميذ يمتثل للشروط المطلوبة ، ويتبنى سلوكا حسنا داخل الفصل ، و من المحتمل كذلك أن تعكس النقاط تحيز المدرسين" [2].

إن المدرسة الحديثة ترسي مناخا للامتثال و اللامساواة ، حينما تضع التلاميذ في لعبة تنافسية يحفز فيها التلاميذ بالنقاط " و ترتبط دوافع التعلم أو عدمه بشكل كبير بأنماط التحفيز الجاري بها العمل داخل الفصول الدراسية ، وبعض هذه الأنماط تعد بالأحرى عوامل إحباط ، تنقص من قيمة الدوافع الإيجابية التي قد تتوفر لدى التلاميذ من أجل العمل " [3] ، لذلك فالتحفيز هدفه ليس تحقيق التعلم ، ولكن تشكيل سمعة التلميذ الموهوب وهذا النوع من التحفيز خلق مناخا مواتيا للفشل ، وتصبح دوافع التعلم في هذه الحالة دوافع تدميرية"[4].

1- نفس المرجع ،ص21
2- نفس المرجع،ص21
3- نفس المرجع،ص12
4- نفس المرجع ،ص15

4.4. التوجيه المدرسي :

إن توجيه التلاميذ نحو دراسة شعبة أو تخصص ما، يكون له قيمة إذا تم بطرق علمية وراعى قدرات و رغبة التلميذ في هذا التخصص .وهو من أهم العوامل التي تسبب الفشل الدراسي ، فالتلميذ الذي يوجه إلى شعبة لا يرغب في دراستها ، في الغالب سيواصل دراسته إما مكرها و ناقما على المدرسة أو يفشل في إتمام دراسته ، و حتى من يرضى بالأمر الواقع لن يستطيع التمييز في هذه الشعبة .

و ما يمكن ملاحظته في المدرسة الجزائرية أثناء عملية التوجيه هو التركيز الكبير على المعدل الذي يحصل عليه التلميذ ، فإذا تحصل على معدل أقل من المعدل المطلوب ولو بجزء أو جزئين ، لن تؤخذ بعين الاعتبار رغبته في تخصص أو شعبة ما هذه الآلية المتبعة في عملية التوجيه المدرسي تؤدي إلى حرمان التلميذ من حق اختيار التخصص الذي سيدرسه ، و هذا كفيل بالقضاء على مستقبله العلمي بطريقة ما .

5.4. الإدارة المدرسية:

إن الإدارة المدرسية كنظام تعمل على تحقيق الأهداف المدرسية من خلال المشروع الدراسي من جهة عبر الوسائل المادية (الكتب، التجهيزات...) ومن جهة أخرى و هو الأهم هو مراقبة التلاميذ من خلال آليات المراقبة و الانضباط داخل المدرسة . وبالتالي فدور الإدارة المدرسية هو مزدوج : دور إداري و جانب تربوي لمل له علاقة مع الفاعلين التربويين ، و هنا يجب الكلام عن كفاءة الموظفين الإدارية ولا سيما المدير ، فأسلوب

المدير في تسيير المؤسسة التربوية لا يؤثر فقط على التلاميذ و التزامهم و رغبتهم في الدراسة ، ولكن التأثير يمتد إلى الأساتذة ، فإذا كان المدير يتعامل مع الأساتذة و موظفي الإدارة بأسلوب تسلطي سيؤثر ذلك حتما على أدائهم و على تعاملهم مع التلاميذ ، وستلاقى هذه المعاملة بالرفض والتمرد من قبل التلاميذ و افتعال المشاكل ، وتصبح المدرسة في هذه الحالة مكانا للصراع ، و هذا النمط من العلاقات التربوية موجود في الجزائر، كما أن أغلب مدراء المدارس ليس لديهم دراية كافية بأساليب الإدارة .

وما يمكن ملاحظته هو عدم تلقيهم لتكوين في هذا المجال، فنجد أن الأستاذ أو " المعلم ترقى إلى منصب مدير بعد عدد معين من سنوات الأقدمية، و الحصول على علامة محددة في التفتيش. و بهذا تكون عملية تحمل مسؤولية الإدارة مرحلة قبل الخروج إلى التقاعد ،فلا معايير علمية محددة ، ولا تكوينا مناسبا فالمدرس الناجح ليس بالضرورة مديرا ناجحا " [1] ، ضف إلى ذلك كثرة الوثائق المطلوبة في المدرسة ، سواء من التلميذ أو من الأساتذة و هو حال الإدارة الجزائرية ككل ،و هذا النوع من العوائق في المدرسة يتعب الأستاذ أكثر من التلميذ في حد ذاته ، فيجد نفسه ينتقل من مكتب لآخر و في كل مرة يطلب منه وثيقة جديدة ، وهذه الممارسات أدت بالأستاذ إلى ممارسة **دور النادل** ، و هي تؤثر على أداءه و تأخذ الكثير من وقته و تؤدي به

[1] - غيات بوفلجة،التربية و التكوين بالجزائر–مخبر البحث في علم النفس وعلوم التربية، دار الغرب للنشرو التوزيع ، وهران_الجزائر ،2002،الطبعة الأولى،ص71

إلى الملل والتعب ، و من الممكن أن تؤثر على معاملته للتلاميذ وعلى أدائه التعليمي ، و الذي يؤدي إلى فشل التلاميذ في تحقيق التعلم .

من خلال ما سبق يتضح أن المدرسة الحديثة مرت بمراحل إلى أن أصبحت على ما هي عليه الآن و أن لها وظائف معلنة و وظائف مستترة تعمل في الخفاء ، كما أن هناك عوامل عديدة تعود للمدرسة منها (.....) في حد ذاتها تؤدي إلى الفشل الدراسي لدى التلاميذ و ما تم التطرق إليه ما هو إلا جزء يسير مما يحصل في الواقع ، لكن إلقاء الضوء على هذه الجوانب المظلمة من الحياة المدرسية من الممكن أن يشجع بحوثا أخرى على تناول الموضوع من جوانب أخرى ، أو التوسع في ما تم ذكره ، و في فصل لاحق سيتم التطرق لبعض العوامل الخاصة بالمدرسة الجزائرية على وجه الخصوص .

مفهوم الرأسمال الثقافي :

إن الدراسات التي قام بها "بورديو" و "باسرون"سمحت بظهور مفهوم الرأسمال الثقافي حيث ظهر في أول مرة على شكل فرضية للفت الانتباه حول عدم تكافؤ الفرص المدرسية للأطفال المنحدرين من مختلف الطبقات الاجتماعية و النجاح الدراسي لهم ، حيث أن كل الأسر لها جانب من رأسمالها الثقافي،إذ ينتقل بطرق مختلفة مباشرة أو غير مباشرة من الآباء إلى الأبناء خاصة من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، و عملية الاتصال الأسري ويرى بورديو ان التمايزات و الاختلافات التي يعمل النظام التعليمي على بلورتها ، هي تمايزات ليست

مبررة و محددة من الدرجة الأولى على أساس متغيرات و اعتبارات اقتصادية ، أو حتى سياسية ، بل تأتي عدم المساواة بين الأفراد أمام النظام التعليمي انطلاقا من المؤشرات الثقافية[1] .

و يعرف بورديو نظريته الرأسمال الثقافي بقوله "إنها العلم الذي يدرس الشروط الاجتماعية التاريخية التي تحدد العلاقة بين إعادة إنتاج الثقافة السائدة و المسيطرة في مجتمع ما و إعادة إنتاج و ترسيخ البنية الاجتماعية السائدة و المسيطر عليها في ذلك المجتمع و ذلك من خلال تحليل و تفسير كيفية تزييف إدراك هذه الشروط التاريخية التي بها و من خلالها يصبح للنسق الثقافي السائد في المجتمع سلطة تعزيز الميل نحو الإبقاء و المحافظة على المجتمع القائم و علاقاته المسيطرة 1 و المقولة النظرية التي يبنى عليها بورديو نظريته هي : أن الثقافة وسط يتم من خلاله عملية إنتاج بنية التفاوت الطبقي ويستند بورديو في إثبات هذه المقولة و تحليلها إلى مفهومين هما المحوريان في نظريته الأولى هو مفهوم الرأسمال الثقافي و المفهوم الثاني هو مفهوم النفسية أو الاستعدادات المكتسبة ، أو بتعبير بورديو Habitus ويشير مفهوم الرأسمال الثقافي إلى مجموعة من المؤهلات و المهارات اللغوية و الثقافية المختلفة التي يتوارثها الأفراد عن طريق الأسرة ، فالأبناء يرثون مجموعة من أنماط التفكير و الميول كرأسمال ثقافي ، يمنحه قيمة و مكانة اجتماعية معينة ، طباقا لما تصنفه الطبقات المسيطرة ، كما أن نظام التعليم له دور في إعادة إنتاج الثقافة المسيطرة و إكسابها نوع من الشرعية ، وعليه فيتعود الفرد على

[1] -bourdieu pierre ;et passeron j.claude ; les héritiers ; les étudiants et la culture ; p43 بتصرف

اكتساب مجموعة من المهارات عن طريق أسرهم ، عكس الفرد المنحدر من أسرة فقيرة من حيث الرأسمال الثقافي ، أين يكون

تفاعل هذه الأسرة مع نظام التعليم ضعيفا ، و بالتالي تكون ردود فعل الطالب محدودة وقد حدد بورديو الرأسمال الثقافي بثلاث حالات :

أـما هو مستدمج في الفرد أو الفرد الذاتي،بصورة لغة و طريقة التفكير و العمل ، وبصورة استعدادات ثابتة في الجسم .

بـما هو موضوعي ، يتمثل في المقتضيات الثقافية في الأسرة : كتب،قواميس،آلا..الخ

جـما هو مؤسسي ، و يتمثل في الشهادات العلمية و المعارف التي يحملها الأهل ، التي تعطي أصالة للفرد .[1]

أما المفهوم الثاني إلى جانب مفهوم الرأسمال الثقافي هو مفهوم الأبيتوس Habitus

الذي هو لفظ لاتيني يدل على المظهر الخارجي أو شكل الهيئة أو الحالة –الطبع– و الاستعداد . وفي اللسان العربي بمصطلح **"السمت"** الذي يعني الهيئة ، فيعرفه "بوريدو" بأنه : "نسق من الميول و النزعات القوية التي يمكن أن تنتقل من فرد لآخر ، في شكل بنى مبنية لتصبح بانية ، حينما تستخدم كمبادئ لإنتاج و

[1]- عدنان الامين ، التنشئة الاجتماعية و تكوين الطباع ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، 2005، ص 69

بناء تصورات و الممارسات التي يمكن أن تكون موضوعية و منتظمة ، ودائمة ، دون أن تكون في أي حال من الأحوال نتاج طاعة لقانون أو قاعدة ما ، بمعني أن تتم التصورات و الممارسات بطريقة موضوعية و متواترة و بصورة تلقائية و عفوية " [1].

كما يدل المفهوم –**السمت**– على مجموع الاستعدادات الجسدية و الذهنية الدائمة ، التي تترتب على عملية التنشئة الاجتماعية للفرد ، و التي تجعل منه فعلا اجتماعيا في إطار حفل اجتماعي معين ، **و السمت** بهذا المعنى يقابل الحقل حيث يعيش و يشتغل بصفته حيزا في العال الاجتماعي ، أوسع و أعقد من مفهوم الذات . وكلمة **السمت** هي التي استعملها العلماء المسلمون في علم الفلك ، و انتقلت إلى الفرنسية بصورتها الأصلية وهكذا يبدو بشيء ، من التحقيق يمكن اصطلاح على السمت باعتباره لفظا AZIMUT عربيا دقيقا في مقابل "هابيتوس"لأنه يفي بالغرض الدلالي ، ولا يخل بالبنية الصرفية كما استعمله LA FACULTE للسان العرب (سمت ج سموت)ولعل لفظ الملكة ابن خلدون يؤدي المعنى نفسه [2] والملكات عند ابن خلدون صفات للنفس و ألوان ، ومن كان على الفطرة مان أسهل لقبول الملكات و أحسن استعداد لحصولها[3] .

1 - شبل بدران ، حسين البيلاوي ، علم الاجتماع التربية المعاصر ، ص 110
2- بورديو بيار ، اسئلة علم الاجتماع ، ترجمة عبد الجليل الكور ، ص 09
3-عبد الرحمان ابن خلدون ، مقدمة العلامة ابن خلدون ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع ،بيروت ،2004، ص 385

ونجد مفهوم السمت أربعة عناصر :

1–مكتسب خبرة : أي نتاج الخبرة المتكررة داخل العائلة الأصلية ، فالأبيتوس نتاج الظروف المعاشة (اقتصاديا ، اجتماعيا ، ثقافيا) والتي تميز كل طبقة اجتماعية أو جزء من طبقة .

2–حالات سلوكية : فالأبيتوس هو القدرة على التوافق مع الظروف الجديدة ما عدا الظروف المتعلقة بالطفولة ، فهو متعلق بمعنى التميز عند الطبقة السائدة ، ويعتبر حالة سلوكية ، وذلك بالانتقال من العائلة الأصلية إلى وضعيات جديدة ، ومن مجالات إلى أخرى بالبحث عن كل ما يمكن أن يجعلها تختلف عن ممارسة الطبقية الشعبية.

3–مرتبط بالتاريخ الفردي : يشكا أبنيوس الفرد بشكل مبكر جدا و الذي يستبطن أبتيوس الآباء ، وسلالتهم ، ويحدد بالضرورة طموحهم فيما يتعلق بمستقبل خلفهم ، ومن هذا المنطق فإن لكل طبقة اجتماعية أو جزء من طبقة اجتماعية نوعن من الأبيتوس[1]

أ–أبيتوس إعادة الإنتاج : والذي يطمح إلى الاحتفاظ بنفس الوضعية الاجتماعية للآباء فهو يحاول الوصول إلى توافق الفرد مع الظروف المعاشة من طرف العائلة الأصلية فإبن العامل لا يطمح إلا أن يكون عاملا .

ب–أبيتوس التسلق الاجتماعي : هو الذي يطمح إلى الصعود فوق الطبقة الأصلية كما تجد إبن العامل يطمح أن يصبح في المستقبل مدرسا مهندسا أو طبيبا .

1- عبد العزيز خواجة ، مبادئ في التنشئة الاجتماعية ، ص 92

و هذا الأبيتوس ما هو إلا نتيجة السلالة التي ينتمي إليها الفرد اجتماعيا ،كوجود تغير قسري على الجيل الجديد والمقبل ، مثل الأب الذي ينحدر من عائلة ريفية و يجبر على أن يكون عاملا أو موظفا عن طريق الهجرة الريفية .

لكل طبقة معينة محددة نمط معين للحياة (الثروات المستهلكة ، الممارسات الثقافية....الخ) وعلاقة محددة بالمستقبل ، تتضمن مصدرها في الرأسمال الاقتصادي و الثقافي فالطبقة الاجتماعية تصبح عبارة عن طبقة الأفراد المجهزين بنفس الأبيتوس بمعنى أنهم يحملون نفس لترتيبات لمواجهة المستقبل ، لأنهم نفس يتقاسمون نفس المسارات المثالية في حياتهم [1].

الرأسمالية الثقافية للأسرة و متابعة الأبناء دراسيا :

يعتب المستوى التعليمي للوالدين و لباقي أفراد الأسرة ، أهم مؤشر لقياس الرأسمال الثقافي للأسرة ، إن هناك علاقة بين الرأسمال الثقافي للأسرة ومتابعة الأبناء دراسيا ، حيث إذا كان أولياء الطالب مثقفين ، فإن ذلك يمنح للأبناء فرص الاستفادة من خبراتهم و مساعدتهم في الميدان الدراسي لكن هذا لا ينطبق على كل الأولياء المثقفين ،إذ هناك فئة

منهم لا يبالون بمتابعة أبنائهم دراسيا .

1- نفس المرجع السابق ، ص 93

فالمتابعة دراسيا ضرورية لترقية الطالب اجتماعيا وتكون هذه المتابعة من طرف الأولياء من خلال مسايرتهم للعمل الدراسي للطالب ، ومساعدتهم له على مواجهة الصعوبات التي تواجهه خلال دراسته ، كما أن المتابعة تتمثل كذلك في مراقبة علاقة الطالب بالأستاذ داخل القسم .

ولقد أكدت عدة دراسات أنه كلما كان الرأسمال الثقافي للأسرة عالي ، كلما كانت درجة الإدراك و الاهتمام بدراسة الأبناء كبيرة .

وبما أن هذه المتابعة من طرف الأسرة تتأثر إلى كبير خاصة بالمستوى التعليمي للوالدين و بممارساتهم الثقافية و التربوية تجاه أبنائهم ، فإنه في حالة ما إذا كان هذا الرصيد الثقافي العلمي ميسور ، فإنه بصفة مباشرة ، يكتسب الأبناء قرارات كثيرة و متنوعة . لأن الوسط الأسري يؤثر إلى حد كبير على ميولات الطفل ، خاصة إذا كان الأولياء المثقفين يحفزون أبنائهم على المطالعة و القراءات العلمية ،هذا ما يعمل على تنمية ذكائهم وحسهم العلمي العلمي والمعرفي[1] .

إذن بهذا الشكل يعمل الأولياء المثقفون على توريث ثقافتهم العلمية لأبنائهم المتمدرسين على خلاف ذلك .

فالرأسمال الثقافي البسيط للوالدين ، ينقص من درجة اهتمامهم بمتابعة أبنائهم دراسيا .

[1]- نفس المرجع السابق ، ص 99

في الأخير يمثل العامل الثقافي للعائلة و الذي يتأثر بجملة من العوامل ،كنمط اللغة المستخدمة في البيت و المستوى التعليمي للوالدين ، و طريقة تشجيعهم ، إضافة إلى نمط العلاقات القائمة بين أفراد العائلة ،وجملة من المفاهيم و التصورات و العادات و التقاليد ، السائدة في الوسط العائلي .